الموضوع الثالث عشر

لا حسد إلا فى اثنتين

عن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا حسد إلا فى اثنتين: رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار، فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل، ورجل آتاه الله مالا فهو يهلكه فى الحق فقال رجل ليتنى أوتيت مثلما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل».

[رواه البخارى ومسلم]

عن ابن مسعود – رضى الله تعالى عنه – أن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين».

والحسد هنا ليس هو الحسد المراد به زوال النعمة، وسأعيد عليكم الكلام ثلاثًا؛ لأن السيدة عائشة – رضى الله تعالى عنها – كانت تقول: «إن النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه) كان يعد الكلام عداً»، إذا كان الشخص منا يعد من ورائه الكلام، وكان إذا تكلم فإنه يعيده ثلاثًا، أى: الذى لم ينتبه معنا أول مرة ينتبه فى ثانى مرة، والذى لم ينتبه فى ثانى مرة ينتبه فى ثالث مرة، والذى انتبه فى أول مرة ثم أعدنا الكلام مرة أخرى، فإن الكلام يثبت ثم أعدنا فى ثالث مرة فإن الكلام يرسخ، هكذا علمنا النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام)، إن النبى لا يعرف الكلام السريع المندفع المتدافع لا، و إنما الكلام الهادئ الذى يرسخ فى القلوب، ويستمد نورًا ومهابةً من فمه الشريف، ومن فم العلماء الربانيين، والدعاة المخلصين إلى رب العالمين.

ما أجمل الطالب عندما يمسك بكتاب رياض الصالحين أو اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان !

إن الإنسان يغبط أى إنسان آخر أعطاه الله موهبة وعطاء، فعندما أرى عالمًا ربانيًا فى قناة فضائية أو فى غيرها من القنوات فإننى أغبطه، أتمنى أن أكون مثله ولا أحسده على ما هو عليه أبدًا، المسلم ليس كذلك، فعندما ترى جاراً لك أعطاه الله تعالى نعمة ورزقًا وأولادًا لا تحسده لا تحقد عليه، وإنما تغبطه أى تتمنى أن تكون مثله، عندما ترى رجلاً غنيًا فواحًا بالمال معطاء به، يبتغى وجه الرحمن تتمنى أن تكون مثله، ولكن لا تحسده، ولا تذمه، ولا تحقد عليه، ولا تحمل فى قلبك غلاً من ناحيته؛ لأنه أفضل منك فى ناحية معينة.

عندما ترى إنسانًا ينطلق بالقرآن، وزكى الله تعالى لسانه، وفؤاده بالقرآن تقول: يا ليتنى مثل فلان، والمرأة تقول: يا ليتنى مثل فلانة إنها ما حسدت وما ذمت وما قبحت وما سبت، ولكنها تمنت ورغبت وتأملت واستبشرت، هذه المعانى كلها هى التى أعيشها معك اليوم يا حبيب الله (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) .

اللهم ثبت كل داعية إليك، كلما أرى داعية مخلصًا صاحب رسالة، صاحب نور فى وجهه، صاحب عطاء، فإننى أدعو له بكل قوتى وبكل قلبى أن يَثْبُتَ وأن يُثَبَّتَ، وأن يُعان به على تأدية الرسالة، وأن يمد الله تعالى فى عمره حتى يؤدى رسالته، هكذا علمنا النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) «لا حسد إلا فى اثنتين»، الحديث ورد فى صحيح الإمام البخارى رحمه الله تعالى .

والمراد بالحسد هنا هو الغبطة، وليس الحسد تمنى زوال النعم فذلك هو الحسد المذموم فعلى سبيل المثال (إن ربنا أعطى لفلان أولادًا ناجحين فى المدرسة، وفى المجتمعات فيهم طبيب، وفيهم قاضٍ، وفيهم وكيل نيابة هو

أحسن منى فى ماذا؟)، هذا حسد ولم يقل: ربنا يفتح عليه، ربنا يبارك فيه، ربنا يبارك فى أولاده؛ لأنه كان مخلصًا كان صادقًا مع الله ﷻ.

والمعصية أن الحاسد يعترض على من وزع النعم، والمشكلة ليست فى أن أحمد عبده عوض حُسِد، بتمنى زوال النعمة التى أعطاه الله تعالى، المشكلة فى هذا هى الاعتراض على من وزع، على الله تعالى، على قيوم السموات والأرض.

ولذا قال النبى ﷺ: «لا يجتمع الإيمان والحسد فى قلب امرئ مسلم »، يستحيل أن من كان عنده إيمان قوى ويقين قوى بالله أن يحسد الناس على ما أعطاهم الله فيصير معترضا على توزيع الرزاق ﷻ، لأجل هذا «لا يجتمع الإيمان والحسد فى قلب امرئ مسلم » .

«لا حسد إلا فى اثنتين رجل علمه الله القرآن »، ما هذا الجمال والأدب؟! رجل علمه الله، أى: أنت عندما تحفظ سورة الإسراء فإن الذى حفظك، وأراد لك أن تتعلم ليس أنت، ولكن الذى علمك واختار لك التعلم وأوقات التعلم هو الله ﷻ «رجل علمه الله القرآن» علمه الله ولم يعلم نفسه، ليس بذكائه.. لا!!

« رجل علمه الله القرآن »، (وكما ذكرنا (رجل) تشمل: الرجل والمرأة) «رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار» يحفظ ويتعلم وهو سعيد، يقرأ ويريد أن يسمع صوته من بالخارج فلما سمعه جار له وهو يقرأ قوله تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۙ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ [الإسراء: ٨٢] . قال: صاحب هذا الصوت ربنا يفتح عليه، ربنا ينصره، ربنا يؤيده، ربنا يهلك عدوه، فدعا له بقلبه، فدعا له بيقين فتمنى أن يكون مثله.. انظروا إلى كلام الحبيب: «فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل»، يا ليتنى أعرف أن أقرأ القرآن مثله، يا ليت ربنا ﷻ يفسح فى وقتى، ويفسح فى عمرى حتى أنتهى من حفظ القرآن كما

حفظه جارى أو حفظه زميلى أو حفظه صديقى، هل هذا حسد؟ لا هذا لم يكن حسدًا، هذه غبطة، أحدهم يتمنى ويقول: ليتنى مثل الشيخ فلان، عندئذ هنا الغبطة أن أتمنى أن أكون مثل الشيخ فلان، أو أن أولادى يكونون مثل أولاد الشيخ فلان، تمنيت الخير لك، وتمنيت الخير لأخيك ولأختك .

ماذا قلت عندما استمعت إلى جارك، وهو يقرأ القرآن؟ ماذا قلت ؟

هو منافق؟ لا، لم تقل: هو منافق لم تتهمه أنه منافق، و إنما قلت كلامًا طيبًا، قلت: يا ليتنى أوتيت مثلما أوتى فلان ففعلت مثلما يفعل، هذا هو النوع الأول من أنواع الغبطة الحسد المحمود "إن صح التعبير" الغبطة .

«ورجل أتاه الله مالاً» كم كان يشدنى دائماً قوله: رجل علمه الله ورجل آتاه الله، كأن الحياة كلها، وكأن العطاء كله مالاً أو علمًا، فإن العطاء كله مستمد من الله جل فى عُلاه. رجل علمه الله القرآن، ورجل أتاه الله المال، أتاه الله وعلمه الله .

«ورجل أتاه الله مالاً فهو يهلكه» أى: ينفقه، النص الذى عندنا فى البخارى بنفس نصه «فهو يهلكه» أى ينفقه أو يصرفه فى الحق أى فى مصارفه الشرعية التى أرادها الله فى كفالة الأيتام، فى رعاية المرضى، فى أبواب الزكاة الشرعية، فى التفريج عن الناس، فى إقالة عثرات المعثرين فى أنه يعاون الناس المحتاجين فهو ينفقه فى الحق أى يساعد قدر الإمكان، معه مال، أى: معه خير، ولكنه لم يكتنز هذا المال، وإنما ينفقه فى الحق، فكلما أنفق المال فإن المال ينقص؟ "لا"، لا تقل: لن أخرج الزكاة لأنى لو أخرجت الزكاة كل سنة، سيأتى علىَّ بعد عشرين سنة لن يكون معى مال، هذا تصور خاطئ، فأنت لم تثق فى الرحمن، ولم تثق فى من تتاجر معه ﷻ.

«رجل آتاه مالاً فهو يهلكه» أى ينفقه فى الحق قد يقول زميله أو أخوه أو صاحبه أو جاره أو حبيبه: ليتنى أوتيت مثل ما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل،

ليت عندى مال فأقوم ببناء مساجد أو معاهد دينية أو مستشفيات لعلاج الأورام ومستشفيات لغسيل الكلى، وأساعد مرضى الكبد، وأساعد الناس المحتاجين للسفر، تمنيت كل هذا ؟ تمنيت ؟ قل: نعم تمنيت؛ لأنك تمنيت كتب الله لك أجر من فَعَل، لأنك تمنيت كتب لك الله مثل فلان؛ متصدق مُزكٍ، من أهل الخير وأهل ينابيع البر وينابيع العطاء، الذين يشرقون بالخيرعلى قلوب الناس والذين تفتح بهم الأبواب.

فقال رجل: ليتنى أوتيت مثلما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل فلان أو مثلما عمل فلان، خرج رجل متجه إلى النبى (صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام) فشاهد جبلاً عاليًا فقال الرجل: ليت لى مثل هذا الجبل ذهبًا أو فضة أو مالاً، ماذا تفعل به ؟ فقال: أنفقه فى سبيل الله، أتاجر به مع الله (تمنى)، ولما ذهب إلى النبىِّ ﷺ فوجد أن الأمنية التى كان يتمناها قد قَبِلَها الله تعالى منه، وصار الجبل كله صدقةً وزكاةً وعطاءً و بِراً و إطعام طعام .

عندما ترى رجلاً فى عيد الأضحى، أو فى غير عيد الأضحى يذبح الذبائح ويوزعها على الناس لا تقل: (إنَّ ماله كثير) بل قل: (ربنا يبارك له)، (ربنا يخلف عليه بالحلال)، (ربنا يكثر من أمثاله)، ولا تسئ الظن به ولا من مصادر أمواله، لا تقع فى معصية فأنت لا تستطيع أن تُقَدر خطورتها عند الله ﷻ، عندما تسيىء الظن بأخيك، وعندما تسيىء الظن بأهل الخير، وتقول هذا يعمل خيراً كيف؟ من أين يجىء به ؟ سبحان الله ففى قوله تعالى: ﴿كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ٢٠]، أى إن كل فريق من العاملين للدنيا الفانية، والعاملين للآخرة الباقية نزيده مِن رزقنا، فنرزق المؤمنين والكافرين فى الدنيا؛ وإن الرزق مِن عطاء ربك تفضلاً منه، وما كان عطاء ربك ممنوعا من أحد مؤمنًا كان أم كافرًا.

فإن رأيت فاعل خير لا ينبغى لك أن تسأل عن أسباب ثروته، فإن الذى أعطاه هو الرزاق، إن الذى وهبه هو الحنان المنان ﷻ المتفضل بالجلال والمتفضل بالكمال، إذا رأيت صاحب طاعة وصاحب عطاء لا ينبغى أن تفتش فى دفاتر حياته فإن حياتنا مملوءة بالأخطاء إلا من رحم ربى؛ لأجل هذا لا ينبغى لك أن تسيىء الظن بإنسان قريب إلى الله أو محب لله ﷻ.

فعن أبى هريرة ﷺ قال: إن رسول الله ﷺ قال: «لا حسد إلا فى اثنتين (لا حسد، أى: لاغبطة) رجل علمه الله القرآن فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار» .

من خواطر هذا الحديث الشريف أنه قال: رجل علمه الله القرآن، ولم يكتف بأنه تعلم فقط، وإنما هو يتلوه، الجمال فى التلاوة كما فى قول الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا﴾ [الفرقان: ٣٢] .

أى: وقال الذين كفروا: هل أنزل القرآن على محمد جملة واحدة (كالتوراة، والإنجيل، والزبور)! قال الله ﷻ: كذلك أنزلناه مفرقًا؛ لنقوِّى به قلبك وتزداد به طمأنينة، فتعيه وتحمله، وبيَّنَّاه فى تثبت ومُهْلَة.

«فهو يتلوه آناء الليل وآناء النهار» أى مشغول بالقرآن ومحب للقرآن، فسمعه جار له فقال: ليتنى أوتيت مثلما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل»، «ورجل آتاه الله مالاً فهو يهلكه أى ينفقه فى الحق، فقال رجل: ليتنى أوتيت مثلما أوتى فلان فعملت مثلما يعمل» أى: من يتمنى أن يفعل خيراً كتب الله تعالى له أجر الذى كان يتمناه، الذى يتمنى خيرًا ولم يتمكن إما لضيق العمر أو لضيق ذات اليد، فإن الله تعالى كتب له الخير الذى كان يتمناه، كما حدث مع هذا الرجل الذى تمنى أن يكون له جبل من الذهب فيتصدق به لله ﷻ فقبل الله منه بنيته، إذاً لم يتاجر بالمال، و إنما تاجر بالنية، تاجر بحسن السريرة مع الله ﷻ فقبل الله منه نيته. هذه رحمة رب العالمين الواسعة .

هذا كرم الله ﷻ الذى لا نهاية له، إنك تمنيت وما فعلت، إنك ليس عندك وليس معك، إنما كتب الله لك هذه الأمنية، فصارت هذه الأمنية مكتوبة عند الله تعالى على أنها طاعة حميدة أديتها بأعصابك وبدنك وبصحتك وبعافيتك رغم أنك لم تؤدها أصلاً، ولكن الله تعالى كتب لك أداءها، وكتب لك فضلها، وكتب لك نورها.

ما أجملك يارب! وما أعظمك يارب! وما أرحمك يا رب! وما أجلك يارب! وما أغناك يارب! وما أكفاك يا رب! وما أوسعك يا رب؟! .

يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا شديد العقاب، يا ذا الطول، لا إله إلا هو إليه المصير، يا من يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، اللهم إنا نسألك بما ناجيناك به فى يومنا هذا أن تعفو عنا، وتفتح لنا أبواب الخير والرحمة والمغفرة كلها بجودك وكرمك، وأن توفقنا لأحب الأعمال إليك، وأن ترشدنا إلى ما يقربنا إليك، ويكسبنا رضاك، وأن تسددنا لأطيب القول عندك، وأن تحشرنا يوم القيامة مع خير خلقك، وترزقنا خير الدارين، وتصرف عنا شر أنفسنا إنك على كل شىء قدير برحمتك يا أرحم الراحمين، وصل اللهم على سيدنا محمد وآله الطاهرين.